مجنون الفقيه

محمد مصطفى العمراني
مجنون الفقيه

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر
القاهرة – ش الشيخ معروف متفرع من شارع
شمبليون – عمارة ج - وسط البلد
تليفون: +20225743534
البريد الإلكتروني : arweqhhhh@gmail.com

رقم الإيداع: /2022

الترقيم الدولي: ISBN: 978-977-797-

بالتعاون مع بورصة الكتب للنشر والتوزيع
25 ش شريف - القاهرة

الطبعة الأولى
2022

محمد مصطفى العمراني

مجنون الفقيه

مجموعة قصصية

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر

محتوى هذا الكتاب لا يعبّر بالضرورة عن رأي مؤسسة أروقة وتوجهها.

إشارة

مما لا شك فيه أن المفيد للتجربة القصصية لأي قاصٍّ أن يكون على وعي تنظيري وثقافي ومعرفي بالجنس الذي يتعامل معه ويكتبه، ومن المفيد أكثر أن تصاحب تلك التجربة روحٌ مبدعةٌ تتحلَّى بحب الكلمة وبالحساسية العالية نحوها، وبحب الفنِّ الذي تعالجه.

والقصة القصيرة نوع أدبي يقدِّم الصوت المفرد لصاحبه، على العكس من الرواية التي يعلو فيها الصوت الاجتماعي والجماعي والفكري والأفق التوثيقي لرصد الواقع والحياة، وإن كتبها الفرد.

ومن هنا فإن القصة القصيرة نوع لا يقبل الحشو، ولا الزيادات التي ربما أثقلته وانصرفت به وبالكاتب إلى منطقة العادي أو منطقة الوسط التي

يقع فيها الكثير من كتَّاب هذا النوع المفرط الحساسية، وأقول دومًا بأن القصة القصيرة لا تقبلُ هذا الوسط في الإدهاشُ فهي إما أن تكون ممتازة أو لا تكون.

ومن هنا سيتظافر لها الكثير من العناصر المهمَّة في بنائها، والتي من أهمها اللغة، والمفارقة، ولحظة الإدهاش أو كما يسميها النقادُ لحظة التنوير التي تنبني عليها القصةُ من أول كلمة فيها، ثم تمضي في تسريد تلك العناصر حتى تصل إلى النهاية، فتترك القارئ في لذَّة الدهشة التي هي أصلٌ في القصة القصيرة وبنيتها، وفي جمال السرد عمومًا، ولذَّته المنشودة التي من أجلها نُولع بهذا الفن ونندهش له، ونعجب بعوالمه، كما أن دائرة العدوى تلك تنتقل من الكاتب إلى المتلقي، ولهذا فإنها يجب أن تصل بالدرجة نفسها التي كانت لدى المبدع، فإن قلَّت لديه أو تشتت قلت بالضرورة لدينا.

وفي هذه المجموعة المعنونة ب-"مجنون الفقيه" للقاص اليمني والصحفي والأديب محمد مصطفى

العمراني الكثير من القصص التي اتخذت من الموضوعات الاجتماعية المحيطة بالكاتب وعالمه الخاص، وخبراته المعرفية واليومية سبيلا لوجودها ومبررًا لبنيتها الفنية مما يسجل الواقع بمتغيراته الحادثة من معاناة يومية، وأحداث ومواقف، وفيها رسم لصورة الواقع المحيط بالكاتب أثناء كتابته لعدد من قصص هذه المجموعة، وإن كان قد غلب عليها عنصر الواقعية، وفي المقابل توارى إلى حدٍّ كبير عنصر التخييل، حيث نجد ربما الشخصيات والمسميات والأماكن والأسماء كما هي في الواقع، لكن القاص قد استطاع في أغلب تلك القصص أن يحافظ على أمرين مهمين في قصصه - من وجهة نظرنا- الأول: هو الروح الفكاهية الساخرة اللماحة، والآخر: المحافظة على لحظة التنوير والإدهاش بوصفها العنصر الرئيس في بنية القصة القصيرة التقليدية (الموباسانية، والتشيخوفية، وغيرها) وربما يعود السبب في ذلك إلى قراءات القاص لهذه النماذج

والإعجاب بها ومحاكات بعضها محاكاة في البنية، وليس في المضمون.

وعلى كل حال فإن هذه المجموعة هي حلقة مهمة في تجربة القاص العمراني، الذي يذكّرنا في انطلاقه وكثافة إنتاجه مؤخرًا حيث نشر أكثر من أربع مجموعات في وقت قياسي يذكرنا بمن يتدفق لديه الإبداع والشعر - وإن تأخر زمنا - كما حدث للنابغة الذبياني قديمًا في قصته المشهورة مع الشعر حتى غدا حكما له، فهل نحن أما نابغة جديد هو النابغة العمراني، الذي تدفّق سردًا وقصصًا في وقت متقارب ؟

ربما، ولكن لعله يتجاوز هذه المرحلة والتجربة القصصية - وإن كانت على قدر جيدٍ من الإتقان والوعي بالفن القصصي- إلا أن القادم من أعماله سيكون أكثر تطورًا وتجريبًا وحداثة، وخوضًا في عوالم القصة القصيرة بحكايتها، وخطابها السردي، وتقنياتها المفارقة، ولغتها الجديدة، حتى يتجاوز في كل مجموعة جديدة نفسَه، ويتخطَّى تجربته السابقة

بأخرى مختلفة ومتقنة، ويقدم الأفضل والمختلف في كل مجموعة جديدة.

فذلك هو شأن من يحبّ هذا الفن، ومن يعيش معه مراحله المختلفة ويخلص للقراءة فيه والخوض في كتابته سواء على مستوى التجربة أو على مستويات اللغة، والأداء، والتخييل، والفكر، والرؤية.

أرجو للقاص العمراني أن يحقق حضوره الكبير، واسمه الإبداعي في الوسط السردي اليمني، كما نقشَه من قبلُ في عمله الصحفي والبحثي، وإنه على ذلك لمستطيع، ومن خلال موهبته وروحه المتدفقة بين كلماته وقصصه، وما يحمله من تنوُّع معرفي وخبرة حياتية كبيرة لقادر وجدير، وننتظر منه في كل عملٍ جديد إبداعه المتجدد، وسرده المتميز.

د. إبراهيم أبو طالب
أستاذ الأدب والنقد الحديث
8/ 2/ 2022م.

عن القصص

تعجبني تلك القصص الملهمة، التي تلهمني بداية قصة أو تعطيني جزء من فكرة، أو تذكرني بقصة حدثت لي فأسرع لأكتبها.

رغم أنني أقرأ الكثير من القصص لكتاب عرب وأجانب بما فيهم رواد لا يستطيع قاص الاستغناء عن قصصهم أمثال أنطون تشيخوف وجي دي موباسان وإدجار آلن بو ويوسف إدريس وزكريا تامر وغيرهم إلا أن قلة من كتَّاب القصص هم من يلهموننني الكتابة، ويثيرون خيالي.

تعجبني تلك القصص التي استمتع بقراءتها ثم أقلب الصفحات وأتمنى ألَّا تنتهي، تلك القصص المدهشة التي تتميز بروعة أسلوبها وجمال لغتها وما

فيها من سرد مشوق بحيث أقرأ منها السطر الأول فلا أستطيع تركها إلا أن أكملها.

القصص فن ساحر وممتع أستمتع بقراءته وكتابته، بعض القصص قرأتها عدة مرات ولا أمل منها وبعضها لا أنساها رغم أنني قرأتها قبل سنوات طويلة، أتذكر أن أول قصة قرأتها في حياتي كانت للكاتب العماني ذياب بن صخر العامري في مجلة "العربي" الكويتية في منتصف التسعينات، كان عمري حينها 15 عاما، وكانت القصة بعنوان "غجرية الوادي"، لقد تأثرت بالقصة، وبقيت حزينا لأيام، حزنت على ذلك الديك الذي فر من أعشاش دجاج الغجر ومضى بعيدا لكنه لم يتمتع بالحرية فقد داسته سيارة مسرعة، وحتى بكائي حزنا على الديك كان خلسة فلم أجرؤ أن أقول لأحد أنني أبكي على ديك دهسته سيارة في سلطنة عمان!.

مؤكد سيضحكون عليَّ، وربما أتحول إلى أضحوكة القرية.

من يومها تعلقت بالقصص القصيرة، قرأت مئات المجموعات القصصية، وبدأت أحاول كتابة القصص، وفي العام 2000م نشرت لي أول قصة قصيرة في صحيفة "الصحوة" اليمنية، كانت بعنوان "العزاء الكبير" ويومها لم تسع الدنيا فرحتي، ولم يغمض لي جفن من الفرحة.!

وبعد أسابيع نشرت لي قصة جديدة، ثم تتابعت في النشر في الصحف والمؤسف أن تلك القصص ضاعت ولم أجمعها ولم أعد أتذكر عدد القصص التي نشرت في الصحف خلال تلك الفترة ولم أتمكن من جمعها إلى اليوم.!

ثم مرت فترة كتبت فيها العديد من القصص ولم أنشرها إلا في العام الماضي (2021)، حيث تجاوزت النشر في الفيسبوك والمواقع الإخبارية إلى طباعة المجموعات القصصية ونشرها إلكترونيا فصدرت لي أربع مجموعات قصصية هي: (عن محاولتي الفاشلة للصعود إلى القمر) و(نحن والحمير في المنعطف

الخطير) و(من عجائب تنكة بلاد الخرافات) و(لصوص لكن مبدعون) والمجموعة القصصية الأخيرة طبعت بشكل ورقي عن "دار عناوين" للنشر ونالت حظا طيبا من الانتشار.

كما تعد مجموعتي (نحن والحمير في المنعطف الخطير) هي الأكثر انتشارا في المكتبات الإلكترونية ال-pdf، وفي وسائل الإعلام، ربما للدلالات الهامة التي تحملها تلك القصة.

القصة بشكل عام أخطر من المقال بكثير لكنهم يقرأونها قراءة سطحية وهذا الأمر فيه جانب إيجابي لكاتب القصة إذ قادت بعض القصص كتابها إلى السجون والمحاكم حين تم تفسيرها بشكل سياسي، وتم اسقاطها على الواقع.

أقول: لو أن لي مصدر دخل يجعلني أعيش ولو بالحد الأدنى من أساسيات الحياة لتفرغت لهذا الفن الساحر الذي شغفتُ به قراءةً وكتابةً حتى أصدر أكثر من 100 مجموعة قصصية على الأقل، ولكن

على حد علمي فلا يوجد كاتب – في العالم العربي على الأقل – قد تفرغ لهذا الفن وحده دون سواه.

سألني البعض: كيف تكتب القصة؟

لكنني بالحقيقة لم أصل إلى مرحلة صرت فيها صاحب تجربة تستحق أن تروى، ويستفيد منها القارئ فما زلت في بداية الطريق.

من عادتي في الكتابة أنني حينما أنتهي من كتابة القصة أشعر بسعادة لا توصف تغمرني، أغلق الجهاز وأستريح لمدة نصف ساعة ثم أفتح الكمبيوتر من جديد وأعود لقراءة القصة التي كتبتها، ثم أحذف بعض الجمل والعبارات وأضيف وأعدل، ثم أترك القصة لساعات وأعود لقرأتها قبل النشر للمرة الأخيرة ثم أنشرها.

كثيرًا ما سألني بعض القراء لقصصي:

– هل هذه القصة واقعية؟

– وهل حدث لك فعلا ما رويته في القصة؟

ومثل هذه التساؤلات جعلتني أضطر لكتابة تنبيه في أسفل القصة بأن (هذه القصة خيالية) وهو تنبيه لا يناسب فن القصة الذي يعتمد على الخيال فلو أن القصة التي كتبتها حدثت بحذافيرها في الواقع ثم كتبتها كما حدثت فلن تكون قصة وانما تقرير صحفي مكتوب بأسلوب أدبي.

أكرر القول: إنني في حياتي لم أحب شيئًا كما أحببت القصص القصيرة كتابة وقراءة، هذا الفن الساحر لو استطعت أن أتفرغ له طيلة حياتي لفعلت لقناعتي بالدور الهام الذي يقوم به في غرس المفاهيم والقيم والتصورات في الأذهان والوجدان.

القصص القصيرة فن ساحر تقرأه بمتعة وسلاسة فيتغلغل في روحك ويتسرب في وجدانك كأنه سلسبيل ينساب في جدول، ويطبع في ذهنك الكثير من الأفكار والقيم والمفاهيم التي تبقى كنقش حجري وإن لم تتنبه له.

القصص المتميزة هي التي لا تستطيع تركها، هي القصة التي تظل متشوق لمعرفة نهايتها وفي الوقت نفسه مستمع بقراءتها، هي القصة التي تلهمك فكرة لقصة قد تكون مغايرة للقصة التي قرأتها أو مشابهة لها في جزئية بسيطة لكن ما يهم هو فكرة القصة.

بعد أن تأتي الفكرة تظل القصة في ذهني أكتبها وأنقحها، أشطب وأضيف وأختار العبارات وأعدل في ذهني، وتظل هذه القصة تتفاعل في ذهني وتشغل تفكيري رغما عني حتى أكتبها على الورق، وبعد أكتبها أعود إلى قرأتها وكأنها قصة لشخص لا أعرفه وكأني ناقد صارم يريد أن يبحث له عن أي عيب في القصة أقرأها كأنها ليست قصتي وأكتشف بعض الأخطاء والثغرات أو ضعف في الصياغة أو ركاكة في الأسلوب ثم أعود لصياغتها من جديد وقراءتها للمرة الأخيرة ثم أنشرها وبعد النشر أعود لقراءتها مرة أخرى وأستمتع بقراءتها منشورة، وكل هذا

التعب اللذيذ يشعرني بسعادة تغمرني وأتذوقها بطعم الشهد المصفى.

أجدني في كتابة القصة مثلما يجد المطرب ذاته بالغناء ومثلما يجد العصفور ذاته في الطيران والشدو.

في القرآن الكريم مئات القصص ولو لم تكن للقصة كل تلك الأهمية لما وجدت القصص بكل تلك الكثافة في القرآن الكريم وتمت تسمية سورة باسم القصص، ولما أصبحت الصحافة في الكثير من دول العالم تصاغ بشكل قصص والأخبار تصاغ وتبث بشكل قصص والتعليم بشكل قصص فهذا الفن هو الأسلوب الناجح في كل زمان ومكان وكتابة القصص ليست للمتعة والتسلية، ولكنها تحمل رسالة أود أن تصل إلى الناس عبر هذا الفن الساحر.

مؤخرا صارت تصلني الكثير من القصص القصيرة يطلب كتابها رأيي فيها ورغم أن تجربتي البسيطة لا تجعلني مؤهلا لنقد هذه القصص إلا أنني أنصح بما أعلمه من خبرتي البسيطة، البعض يخلط بين

الخاطرة أو المقال القصصي وبين القصة القصيرة فمثلا: وصلتني قصة جيدة يتحدث كاتب القصة عما تعرض له حين كان على موعد مع مقابلة شفهية للحصول وظيفة وكيف أن ضغط الوقت جعله يسابق الزمن ليصل في الموعد المناسب وكيف وصل في اللحظة قبل الأخيرة وتمكن بالكاد من الحصول على مقعد وحضور المقابلة، وهو سرد جيد كونه يمضي بشكل مشوق لمعرفة هل سيتمكن بطل القصة من حضور المقابلة التي يعول عليها كثيرا أم لا ؟ وهل سينال الوظيفة ؟ فهو يشرك القارئ في معاناته ويجعله يتطلع للنهاية الذروة التي يتنفس فيها الصعداء بعد فوزه بالمقابلة وحصوله على الوظيفة، ولكنه يمضي بعد ذلك في اسداء النصائح بأهمية الوقت وضرورة الاستفادة منه وهذا استطراد يقتل القصة تماما فالقصة ليس فيها نصائح ولا أراء فهي ليست مقال أو خاطرة وانما جنس أدبي آخر ليس فيه إرشادات ونصائح وهذه أول النصائح..

القصص لا تعظ، تلمح ولا تصرح، تومئ بإشارة يفهمها الحليم، أسلوبها الساحر الممتع يترك أثر غير مباشر، أثر خفي وخطير في الوقت نفسه، القصة أخطر من المقال بألف مرة لكنهم يقرؤونها غالبًا قراءة سطحية، القصة خالدة والمقال آني ابن يومه او أسبوعه بينما تبقى القصة ويكتب لها الخلود وتقرأ بكل اللغات والأماكن، ما زال الناس حتى اليوم يقرؤون قصص انطون تشيخوف وجي دي موباسان وساكي مونرو وجابرييل جارسيا ماركيز ويوسف إدريس ونجيب الكيلاني ونجيب محفوظ وغيرهم رغم موتهم ورغم أن لنا أكثر من قرن منذ كتب انطوان تشيخوف قصصه، وما تزال إلى اليوم نماذج مدهشة خالدة؛ لأنها تجسد أشواق الإنسان وآلامه وآماله في كل زمان ومكان.

محمد مصطفى العمراني

25 / 1 / 2022م

الجارة الغامضة

منذ سكنت هذه الشقة وأنا وحيدٌ إلا من كتبي ومجلاتي وصحفي والأوراق والأقلام، أخرج كل مساء إلى البلكونة أرتشف الشاي وأكتب، ألمح سيارتها الخضراء الصغيرة تأتي قبيل المغرب، توقفها وتسلم مفاتحها لحارس العمارة ليركنها وتأخذ أشياءها وتصعد، أسمع الباب يفتح في الشقة المقابلة لشقتي، فأعود إلى الداخل، وهكذا صار هذا طقسي كل مساء، من البالطو الأبيض الذي ترتديه عرفت أنها طبيبة، لكني بقيت أتساءل:

- لماذا تسكن وحيدة؟

- هل هي متزوجة؟

- هل زوجها مغترب؟

- هل هي بلا أهل و"مقطوعة من شجرة"؟

تساؤلات كثيرة فكرتُ بها نحو جارتي الغامضة، فكرت بسؤال حارس العمارة عنها لكنني أحجمت خشية أن يرتاب بنواياي وأن يخبر صاحب العمارة عن سؤالي عنها، فيلومني فهو يعرفني جيدا، ويقرأ لي وإلا لما سمح لي وأنا العازب بأن أسكن في عمارة تسكنها العوائل، ولذا فقد أحجمتُ عن السؤال عن جارتي.

منذ أيام قررت أن أكتشف الأمر بنفسي، سوف أنتحل أيَّ عذر لأطرق عليها الباب وأتعرف عليها، أتحرك لأطرق الباب عليها، ثم يغلبني التردد وأتراجع في آخر لحظة، أخيرا قررت أن أذهب إليها وليكن ما يكون، طرقت عليها الباب فلم ترد، فكرت بالعودة لكن فضولي وتطلعي لمعرفة من تكون دفعني لأعاود طرق الباب بقوة فسمعت صوتها:

- من؟

- أنا أحمد جاركم، فقط أريد ملح إذا تكرمتم.

وأضفت:

- لم أستطع الذهاب إلى البقالة لأجل الملح.

لم أسمع شيئا وفكرت أنها تجاهلتني وعادت إلى كمونها المعتاد، قلت لنفسي: يبدو أنها لن تفتح وحين هممت بالعودة فتحت الباب ومدت لي بعلبة الملح، شكرتها وانصرفت.

من يدها البيضاء الناعمة عرفت أنها أصغر مما توقعت.

- هل هي طالبة في كلية الطب؟

لقد سمعت البواب يقول لها: يا دكتورة.

لكن أين أهلها؟

لم أسمع أي صوت لرجل أو طفل، بل إنني لم أسمع لها هي أي صوت، يبدو أنها تعود إلى شقتها لتنام، وتغادر في الصباح إلى عملها.

- في أي مستشفى تعمل؟

- هل لها عيادة خاصة؟

في اليوم التالي أعدت علبة الملح في طبق من الفواكه، أخبرتها أنني حصَّلتُ صندوق رمان هدية، وأهديتها طبقًا منه، شكرتني، وأغلقت الباب.

وعدت أفكر:

- ماذا سأهديها الآن؟

- وكيف سأخطو الخطوة التالية؟

- ماذا لو رفضت الهدية، ورأت في تصرفاتي مضايقة؟

- ماذا لو اشتكت لصاحب العمارة؟

صراع نفسي رهيب أعيشه، وتساؤلات تشغل تفكيري، لديَّ رغبة قوية بمعرفتها وفي الوقت نفسه أخشى أن تتضايق مني وتشكوني.!

لو كنا خارج اليمن لطرقت عليها الباب ولعرفتها بنفسي، ولتعرّفتُ عليها بسهولة لكننا في مجتمع محافظ وشكوى منها قد تشوه سمعتي ككاتب محترم، وأيضا قد تتسبب بطردي من العمارة، ولذا سوف أتحرك بحذر، فالاحتياط واجب.

هبط المساء وأنا في البلكونة أرتشف الشاي كعادتي حين رأيت الدلالة العجوز "بائعة الثياب" تدخل بوابة العمارة فأسرعت انتظرها في باب الشقة، طال الوقت، وهي تصعد الدرج ببطء حتى وصلت، طلبتُ منها عباءة للوالدة، فسألتني:

- أين الوالدة؟ لماذا لا تأتي وتختار بنفسها؟

- الوالدة في القرية.

فتحتْ كيسها فاخترت عباءة مناسبة ودفعت لها قيمتها وزيادة وتجرأت وسألتها:

- بصراحة أريد أن أسألك عن جارتي؟

نظرت نحوي باستغراب، وسألتني:

- ما قصدك؟

- أقصد هل تعرفينها؟ هل هي متزوجة؟

- أعرفها، تشتري مني أحيانا، وهي طبيبة نساء وأخبرتني أنها متزوجة وزوجها طيار حربي متقاعد، ولكني لم أر زوجها.

- هل زوجها يعيش معها؟

- قالت لي إنه يعيش معها، لكني لم أره.!

أخبرتني بهذا ومضت فزادت حيرتي وتساؤلاتي:

- كيف متزوجة وزوجها يعيش معها، ولم أره؟

- هل هو مُقعد ولا يخرج؟

- هل هو أخرس لا يتكلم؟

منذ سكنتُ هنا لم أسمع لأحد في شقتها أي صوت أو حركة كأنها شقة مهجورة.!

كل ليلة بعد عودتها أطرق الباب وأقدم لجارنا الطيار الحربي المتقاعد طبق فواكه مشكلة وطبق حلوى وحزمة كبيرة من القات الفاخر.

أطرق الباب فتأخذ الأشياء بهدوء وتشكرني، انتظرت أن تدعوني لزيارة جارنا الطيار الحربي المتقاعد، والجلوس معه لكنها لم تفعل.!

في تلك الليلة قررتُ أن أتوقف عن إهداء جارنا حُزَم القات والفواكه والحلوى وانتظر ردة فعله، انتظرت ولا جديد، نزلتُ إلى البقالة لشراء حاجياتي وعند عودتي أهديت حارس العمارة العجوز علبة

سجائر وبعض الفواكه وبقينا نتحدث لدقائق، وفجأة سألته:

- ألا تلاحظ يا عم حسن أن جيراننا لا حس لهم ولا خبر هل زوج الدكتورة أخرس؟

نفث دخان سيجارته، ثم قال:

- بصراحة هي عندما سكنت كانت لوحدها واخبرتنا أنها متزوجة من طيار حربي متقاعد، ولكني لم أره.!

ثم قال بنوع من اللامبالاة:

- قد يكون مصاب ومقعد أو أخرس كما تقول أنت لأني لم أره يومًا يخرج أو يدخل، ولم أسمع له صوتًا.

ودعت العم حسن وعدت إلى شقتي، كانت الجارة الغامضة وقصة زوجها المحيرة قد شغلت ذهني لدرجة أني لم أستطع القراءة أو الكتابة، سيطرت على تفكيري تمامًا.

وعادت تحاصرني الأسئلة:

- هل اخترعت قصة زوجها الطيار الحربي المتقاعد لكيلا يطمع أحد فيها وكي لا تكون مثار شبهات وأطماع كونها تسكن لوحدها؟!

- هل زوجها مغترب؟

- هل لزوجها بيت آخر؟

- هل هي زوجته الثانية ويأتي إليها نادرا؟

قطرات المطر تتساقط على النوافذ والبرد يشتد، الليل طويل عليّ، وأنا وحيد أمضغ القات وتحاصرني الأسئلة، أنظر للمجلات والكتب بازدراء فقد فقدت شهيتي للقراءة والكتابة وإذا استمر حالي هكذا، فسوف أفقد عملي وأتضور جوعا، قررت أن أنسى قصة جارتي وزوجها، وأن ألتفت لحياتي لكن التساؤلات عادت إلي رغمًا عني:

- إذا كانت عزباء فهل تقبل بالزواج مني؟

سأتزوجها، حتى لو كانت أرملة.

المطر يهطل بشدة، هل هناك طرقات خفيفة على الباب أم أنه صوت المطر في النوافذ؟

اقتربت من الباب وانصتُّ، فعلا هناك من يطرق الباب:

- أفتح يا أستاذ أحمد.

فتحت الباب فإذا هي وطرحتها تغطي نصف وجهها، سألتني وهي ترتجف من البرد:

- هل يمكن أن تأتي لتسمر مع زوجي، فهو وحيد في المجلس ومقعد؟

هززت رأسي بالموافقة، واجتاحني شعور بالحزن فقد قضي الأمر وتأكدت أنها فعلًا متزوجة، لقد سقطت كل أمنياتي في لحظات، عدت لأحمل قاتي وأشيائي لأذهب إلى جاري المقعد، أغلقت شقتي، تنحنحت وأنا أدفع الباب وأدخل:

- الله الله يا ساتر!

دخلت فرأيت صورته على جدار الصالة، طيار حربي شاب يقف بشموخ ببذلته العسكرية، وفي عينيه نظرة إباء وابتسامة خفيفة.

دعتني إلى المجلس وحين دخلت صعقتني المفاجأة فلا أحد غيري وهي في المجلس لكنها أشارت إلى زاوية المجلس طالبة مني أن أصافح زوجها الطيار الحربي المتقاعد.!

*****

فرحة القمر

– هل ستتزوجين في العيد كما قالوا؟

ابتسمت ومضت فتبعتها أمطرها بأسئلتي، لكنها لم ترد.

شردت إلى بعيد وغرقت في تفكيرها، كنت طفلا ابن عشر سنوات وكانت نورا شابة، لا أعرف كم عمرها، لكني منذ عرفت نفسي وأنا معها، كأن أمي قد أهدتني لها.!

اتبعها كظلها في كل مكان، في الصباح نذهب إلى البئر وعند أول دلٍّ تغسل وجهي، ثم تملأ جرة الماء وتحملها، أتبعها، تتوقف عند شجرة النبق تضع الجرة جانبا وتلتقط الأحجار، وترشق الشجرة فتتساقط النبق، تتركني وتمضي فأملاء جيوبي سريعا وألحق بها،

بعد الفطور نذهب إلى الوادي ونظل نرعى الأغنام، أطارد الجراد والعصافير وتظل تراقبني وتضحك، نعود في المساء وقد كلت قدماي من الجري، ما أن تمسح نورا زجاج الفانوس وتشعله حتى أنام بجوارها فتأتي أمي لتقودني إلى فراشي في بيتنا، أحيانا تتركني أنام عند نورا.

لا أعرف معنى الزواج ما أعرفه أن نورا ستذهب ولن أراها، وقررت: لن يتم هذا الزواج.

صعدت إلى سطح منزلهم وجهزت كومة الأحجار وترقبت وصول عريسها وحين نزل من السيارة رشقته بالحجارة ففر سريعا، وأسرع إخوتي يطاردونني ليمسكوا بي، رشقتهم بالأحجار، فلم يقترب مني أحد غير أن أمي لحقت بي وشوت ظهري بالعصا، فررت منها ورجمتها بالحجر، فسال الدم من رأسها، وحين رأيت الدم اجتاحني الخوف وفررت بعيدا.

حين هبط المساء ذهبت إلى نورا فوجدته ما يزال هناك، ابتسم لي قائلًا:

- أنا لن آخذ نورا، سأبني لها بيتًا هنا، وستظل أنت معها.

زال غضبي منه، أقترب مني وصافحني، ثم دس في جيبي مئة ريال، لأول مرة في حياتي أمتلك هذا المبلغ، في العيد يعطوني 10 ريال، فأطير فرحا أما أن امتلك مائة ريال، فهذا ما لم يخطر لي على بال.

من فرحتي نسيت ما فعلته بأمي وأسرعت إليها أريها المائة ريال، فمسحت على رأسي ودعت لي بالهداية.

في عرس نورا ارتكبت كارثة لن أنساها، لبست بذلة العيد، جاء عمي ووضع في خاصرتي مسدس ميكروف، أقيم العرس في بيت عمها، فهو أكبر بيوت القرية ويتسع للكثير من الناس، ذهبت إليها، النساء يصافحنها ويعطينها الفلوس وبدوري صافحتها وأعطيتها المائة ريال، أعادتها وأعطتني مائة ريال

أخرى وملئت لي الكيس بالسكاكر والحلويات فخرجت مزهوا وكأنني الاسكندر المقدوني، أتفاخر على الأطفال بمائتين ريال وكيس مليء بالحلويات وبذلة جديدة ومسدس ميكروف فمن سيصل إلي؟!

ولأني قد التهمت الكثير من الحلوى فقد شربت الكثير من الماء وذهبتُ إلى الحمام المجاور لمكان العروسة لأتبول وما إن جلست حتى سقط المسدس في حفرة الحمام، حاولت أمد يدي لألتقط المسدس لكنه كان بعيدا، فكرت..

- هل أتركه وأمضي؟

- ولكن ماذا سأقول لعمي؟!

- هل أذهب وأخبره؟

وزاد ارتباكي حين طرقت النساء باب الحمام، غشاني العرق وأحسست أني في ورطة وكدت أبكي، ألتفت فوجدت علاقية ثياب طويلة لويت رأسها وأدخلتها في زناد المسدس وسحبته بقوة فانطلقت الرصاصات واخترقت سقف الحمام الترابي وصعدت

إلى مجلس الرجال فأصابت إحداها البوري المتلئ بالفحم والتتن فوق المداعة " النارجيلة " فانتثر الجمر والتن والدخان، وتقافز الناس رعبًا يدوس بعضهم بعضا، أما النساء فقد تدافعن هربا والصراخ من كل جانب، لقد رووا لي بعد ذلك ما حدث لأني حين انطلقت الرصاصات ومرت بجوار وجهي أغمي عليَّ في الحمام، ولم أعلم كم مضى من الوقت حتى كسروا باب الحمام وأخرجوني، رشوا عليَّ الماء فأفقت، أخرجوا المسدس، وسلموه لعمي وأنا بدوري فررت إلى جوار العروسة كي لا يضربني والدي، احتضنتني بقوة وهي تبكي:

- كنت ستقتل نفسك من أجلي؟!

ألجمني سؤالها فنكستُ رأسي خجلا.

أضافت:

- لم أكن أعلم أنك تحبني إلى هذه الدرجة.

النساء يثرثرن، وأنا غارق في تفكيري:

- كيف سيعش هذا الولد بعد أن ترحل نورا؟

– سيصبح يتيمًا من هذه الليلة.

– يبدو أنه سيتبعها إلى جبل المورد.

– نورا ستنساه لكنه سيمرض بعدها.

بعد المغرب أُطلقَ الرصاصُ وغادرت نورا القرية، بكت أمها، وبكيت أنا فيما انقسمت النساء نصفهن يواسين أمها والنصف الآخر يحاولن مواساتي.!

*****

انتقام

مؤخرا صرت كلما مضغت أوراق القات اشترغ، أرمي القات من فمي وامضي بقية يومي في أكل الفشار والبطاطس واحتساء القهوة، وفي اليوم التالي انسى الشرغة واشتري القات من جديد، أمضغ القات لساعات وفي ذروة النشوة اشترغ فأرمي بالقات واتمضمض وأعود للبطاطس والفشار، ثم أهدي بقية القات لحارس العمارة.

كأنها رسالة ربانية لي بأن أترك القات بشكل نهائي.

تركته..

وقلت لنفسي:

كأنها أيضا رسالة لي بأن أتوب، وتبت إلى الله توبة نصوحا، أصلي الصلوات في الجامع وفي الصف الأول ايضا وأقرأ القرآن وأكثر من الأذكار.

لقد تسامحت ممن ظلمتهم حتى في طفولتي وشبابي واحسست براحة وطمأنينة ولم أعد أخشى شيئا، غمرتني سعادة لا مثيل لها ولم تدم سعادتي سوى أيام حيث تذكرت بالأمس تلك العنزة التي كنت أركب على ظهرها كأنها حصاني الصغير.

كنت طفلا شقيا، أركب عنزتي ويركب أخي عنزته ونقيم ماراثون لسباق العنزات، يسبقني دائما ولذا كنت أشعر بمرارة الفشل فألهب ظهر عنزتي بالعصا لكي اسبقه وأظل اجري بها، وهي تلهث ولا أتركها حتى تبرك دون أن تبلغ السباق.

تذكرتها وأدركت أنها تنتظرني في الآخرة لتقتص مني.

كنت مستغرقا في نومي حين ظهرت لي فجأة، رأيتها وقد تضخمت وصارت بحجم الثور فأدركت أنها جاءت لتنتقم، وهرعت أجري وهي تجري

خلفي، اجري ويتصبب عرقي وتتقطع انفاسي وهي خلفي حتى وصلت إلى الطريق نفسه تحت منزلنا بالقرية حيث كنا نلعب الكرة حتى نمل فنقيم ماراثون سباق العنزات، ارتميت على الأرض ألهث وقلبي يدق بقوة والرعب يجتاحني وحين وصلت لم تنطحني بقرونها كما توقعت، وقفت تنظر إلي وفي عينيها حقد قاتل، اقتربت منها طالبا المسامحة فنطحتني لأتكوم على الأرض خائر القوى ولم تكتف بتلك النطحة بل ألقت بثقلها علي وألهبت ظهري بالعصا فتحركت تحتها كأنني ألفظ أنفاسي وتمنيت الموت لأستريح من ثقلها الذي تتكسر له عظامي ومفاصلي لكنها واصلت الركوب علي إلى نهاية الميدان ثم عادت بي من جديد.!

جسمي يلتهب تحت عصاها وانا أجرجر نفسي ببطء قاتل، وهي فوقي كصخرة فوق نملة ضعيفة تنازع أهوال الموت لتصل إلى نهاية الطريق.

أخيرا انزاحت من فوق ظهري فبدأت أشعر ببعض التحسن، كنت غارقا في عرقي وشعر رأسي

قد وقف من الرعب مثل مسامير صلبة، احسست بعد ذلك العذاب أنني صرت أشبه بجثة محطمة، جرجرت نفسي إلى منزلي كأن بجسمي ألف جرح ينزف..

طلع الصباح ونهضت من فراشي، محطم كأنني نملة داسها جنود سليمان أجمعين، جسمي متورم وعليه علامات زرقاء من آثار الضرب وألم مخيف في ظهري ومفاصلي، وحين نظرت في المرآة صعقت لقد كنت أشبه بمومياء مخيفة، لقد مرت الليلة الأولى من انتقام العنزة وبانتظاري ليالٍ عجاف كلهن رعب وتعذيب، فلم أعد أتذكر كم مضى عليّ في طفولتي من أيام وأنا أركب تلك العنزة حتى تبرك دون أن تفوز يوما في ذلك الماراثون الذي كان يفوز فيه أخي الأصغر.

ترى كيف سيكون مصيره؟!

*****

ليلة عصيبة!

فوجئت بعد تناولي للعشاء بأن والدي يأمرني بالذهاب إلى المزرعة لحراسة حقل القات.!

اجتاحني الخوف، تلعثمت وأصفر لوني، ولم أستطع النطق، جمدت في مكاني، بعد لحظات نظرت إلى أمي فوجدتها هي الأخرى قد صدمتها المفاجأة ولم تتكلم.!

كنت صغيرا ولا أرى في الليل خارج بيتنا إلا الوحوش والأشباح، ولكن أمر الوالد كان حكما لا استئناف له.

قال الوالد بصرامة:

- ستذهب أنت وأخوك..

وأضاف:

- أنتم رجال والرجال لا تخاف.

سلم كل واحد منا بطانية وقنينة كبيرة من الماء ولأني الأكبر فقد سلمني البندق الكلاشينكوف وأوصاني بأن لا أطلق النار إلا عند الضرورة القصوى.

عندما تسلمت البندق هبطت علي شجاعة عجيبة وتلاشت الكثير من مخاوفي وشعرت بأنني أصبحت رجلا.

خرجنا من المنزل فلحقتنا أمي بكيس فيه بعض الخبز والجبن وظلت تراقبنا ونحن نمضي وتدعو لنا.

لحسن الحظ فالقمر كان بدرا والضياء يغمر المكان.

في الطريق كنت أمشي صامتا يتبعني أخي الذي أقسم أنه سيمضغ القات لأول مرة متسائلا:

- كيف نحرس القات ولا نمضغه؟!

في التل الذي يعلو حقل القات غرفة صغيرة بناها الحارس وعلى سطحها فرشنا البطانيات وجلبنا

أحجارا جعلناها مداكي لنا ثم نزلنا للحقل نقطف أوراق القات لنمضغه كي نسهر ولا ننام.

قطف كل منا حزمة له وغسلناها وبدأنا نمضغ القات ونتحدث.

منذ سنوات كنت أتمنى أن أحمل البندق الجديد وأتباهى به أمام الناس وأن تراني البنات وأنا لابس الجمبية (*) والبندق ولكنني الآن أحمل البندق ليلًا حيث لا يراني أحد.!

غاب القمر خلف سحاب كثيف فغمر المكان ظلام مخيف لكن وجود السلاح بجواري ونشوة القات جعلتني أشعر ببعض الأمان.

الهدوء يعم المكان سوى من نباح كلب من بعيد أو صياح طائر بين الحين والآخر، نوافذ القرية التي يشع منها الضوء بدأت تنطفئ واحدة تلو أخرى.

* الجمبية: خنجر يلبس في الخصر في اليمن وسلطنة عمان وبعض الدول.

أخبرت أخي بما سأفعله عندما أكبر، سأبني مزرعة دجاج كبيرة بطول 5 كيلو تنتج كل يوم عشرة ألف فرخة وقاطعني أخي:

- 10 ألف فرخة من سيأكلها؟!

- سنوزع الدجاج بسيارات على كل القرى والمناطق.

وسأبني مزرعة للخراف نبيع كل يوم منها ألف خروف، وقاطعني أخي مجددًا:

- ألف خروف من سيذبحها؟!

- سنوزع على كل الأسواق والجزارين في المحافظة.

بدأ ضوء القمر يتسلل من بين السحاب فرأينا عشرات اللصوص وقد وقفوا في حقل القات وتساءلنا وقد صدمتنا المفاجأة:

- يا ساتر أين ذهب القات؟!

- هل قطفوه وسرقوه كله بهذه السرعة؟!

- ولماذا عادوا ليقفوا بالحقل؟!

غلي الدم في عروقي فحملت البندق ونزلت إلى جوار الحقل وعندما وصلت تذكرت وصية الوالد أن لا أطلق النار إلا عند الضرورة ولذا بدأت أهددهم:

- سأعد إلى عشرة وإذا لم تتركوا القات وترحلوا فورا فسوف تكون نهايتكم.

10 9 8 7 6 5 4 3 2 1

انهيت العدَّ، ولكنهم بقوا في أماكنهم كأنهم يتحدوني.!

قلت محذرا:

- تذكروا انكم جئتم بأرجلكم إلى هنا لتسرقوا القات ولذا لا تلوموني ان قتلتكم كلكم.

حذرتهم، ولكنهم أصروا على تحديهم ووقاحتهم.!

أنذرتهم من جديد:

- أنتم تسخرون مني وتظنون أني صغير ولن افعل شيئا ولكني الآن رجلا ومعي بندقي ولن أرحمكم.

قررت وأخي محاصرتهم بصمت وحذر حتى الصباح ليشهد كل الناس على وقاحتهم، ومضت الساعات وهم على وقفتهم الغريبة وتحديهم.!

وقبيل الفجر سألت أخي مستغربا:

- ما هذه الوقاحة التي في هؤلاء اللصوص؟!

- لماذا لم يتركوا حزم القات ويهربون؟!

- لماذا يصرون على الوقوف والسخرية منا؟!

غضب أخي وقام يرشقهم بالحجارة قائلًا:

- يظنون أننا صغار ولن نجرؤ على إطلاق النار.

وحينها نفذ صبري ففتحت الأمان وأطلقت الرصاص الحي على كل اللصوص الذين يقفون في الحقل.!

شقت أصوات الرصاص سكون القرية ودوت في كل الأرجاء فصاح الوالد من المنزل وسمعت صراخ أمي وصاح الناس من كل مكان يتساءلون عما حدث.

كان ضوء الفجر قد بدأ يشع، ونحن ما نزال نحاصر اللصوص الذين ظلوا يقفون بكل تحدي رغم الرصاص الذي أطلقته عليهم.!

بدأ الضوء النهار يشع أكثر ووصل الناس إلينا فنزلنا جميعا إلى الحقل لنحصي عدد القتلى والجرحى فلم نجد سوى الأشجار واقفة.!

*****

انقلاب غريب!!

صعقت عندما هجمت علي زوجتي بسكين المطبخ والشرر يكاد يتطاير من عينيها المحمرتين غضبا طالبة مني الاعتراف بالحقيقة، لقد شلني الخوف وجف ريقي وأنا أرى السكين يكاد ينغرس في رقبتي.

- أعترف

- أعترف بماذا؟!

- بأنك خائن

-.....

- نورا وسعاد ودلال ميرفت وأروى وغيرهن..

- من هؤلاء؟ والله ما أعرفهن؟!

- يا سلام تكتب عنهن ولا تعرفهن؟!

أقسمت لها بأن هذه مجرد أسماء وهمية في القصص التي أكتبها وهي قصص من وحي الخيال، ولكي تصدق أمسكت بالمصحف وأقسمت بأن هذه الأسماء وهمية، مؤكدًا لها بأن القصص فن يعتمد على الخيال.

رمت السكين من يدها وانهارت باكية:

- أنا أتعب نفسي طوال اليوم في البيت والمطبخ ومع الأولاد وأنت تجلس لتتخيل النسوان وتتذكر أيام طفولتك وشبابك وتكتب.!

حمدت الله أنها عقلت وأنني قد نجوت من موت محقق، كنت في حالة يرثى لها، العرق يتصبب من كل جسمي وفمي جاف ولساني ثقيل كأنه خشبة.

حاولت أن أشرح لها عن فن القصة وأن أربت على كتفها لتهدأ وأشيد بجهودها لكنها انتفضت والتقطت السكين من جديد وساقتني تحت التهديد إلى المطبخ حيث أشارت لكومة الصحون قائلة:

- تخيل هذه نورا وتحدث معها.

ولأني خشيت أن تتهور والسلاح يطول فقد غسلت الصحون.

بعدها ساقتني إلى الصالة:

- هذه دلال تحدث معها.

ولأني رجل عقلاني ولا أعمل عقلي بعقلها فقد نظفت الصالة والغرف بينما جلست هي على كرسي لتقرأ.

العرق يتصبب مني والتعب الشديد حطم جسمي وخصوصا ظهري، ارتميت على الأرض من شدة التعب ورحت في النوم.

ولا أدري كم نمت لكنني صحوت مفزوعا على صوتها، أشارت إلى المطبخ حيث تتكوم الخضار والأرز:

- هذه سعاد تفاهم معها.

ولأني رجل عصري وأجيد تقديم التنازلات فقد طبخت الغداء أيضًا.

لم يكن لدي مانع في مساعدتها في المبطخ والمنزل، بالعكس أستمتع عندما أطبخ بعض الوجبات، ما يحز في نفسي أنني أؤدي كل هذه الأعمال المنزلية تحت تهديد السلاح.!

بعد الغداء وبعد أن شربت الشاي بالنعناع كنت أعتقد أنني قد نجحت في امتحان اليوم واثبت لها أنني قادر على القيام بأعمال المنزل وبجدارة.

اليوم قد قمت بواجبي واسترحت لكنها رمت أمامي بكومة من ثياب الأطفال:

- وهذه سلمى تناقش معها.

وغسلت ثياب الأطفال وعادت هي للقراءة.

ومضت الأيام وكأنني سجين محكوم عليه بالأشغال المنزلية الشاقة! وكأن الزوجة في إجازة طويلة منها!، وكلما مضى الوقت تعودت على الأعمال المنزلية بينما زاد إدمانها على القراءة.!

لقد تعايشت مع الانقلاب الذي شهده المنزل وقلت في نفسي:

- سأتفرج إلى أين سيصل بنا الحال؟!

وبدأت أشتري كتب عن الطبخ وأشاهد برامج تحضير الوجبات وبدأت أتقن طبخ وجبات جديدة ونادرة في الوقت نفسه بدأت زوجتي تراكم كتب القصص وتقضي ساعات في قراءتها.!

توقفت أنا عن قراءة وكتابة القصص وواصلت عملي المنزلي بسعادة، بصراحة كنت في البداية مكرها، ثم بدأتُ أجيد العمل المنزلي ثم اندمجت في الدور وأحببته، ولكني كنت أتساءل:

- إلى أين سيصل بنا الحال؟!

- هل هذه هي النهاية؟!

- هل سيأتي يوم وتطلب مني التوقف عما أفعله وتعود لعملها؟!

ثم حدث ما لا يخطر لي ببال.

لقد جاءتني ذات مساء وهي تبتسم بخجل وسلمتني قصة قصيرة قالت:

- صديقتي كتبت هذه القصة وأريد رأيك فيها.

أعرف خطها وأنها هي من كتبتها لكني رميت بالأوراق جانبا وأخبرتها بأنني قد نسيت القصص، الآن أنا فقط شيف محترم يجيد الطبخ والأعمال المنزلية فقط.!

عندما رأيت انكسارها وحزنها أخذت الأوراق وقرأت القصة وبدأت أعلمها تقنيات كتابة القصص.

بعد أشهر نُشرت أول قصة لها في مجلة عربية فطلبت مني رأيي في القصة فأخبرتها أن القصة ممتازة وسألتها:

- من يكون محمود هذا؟

فأخبرتني أنه مجرد اسم وهمي.

مضت الأيام ونشرت زوجتي المزيد من القصص وتزايدت شكوكي وهواجسي، محمود وآسر وشاكر وسالم ووو مهند..

- هي وصلت لمهند؟!

أسرعت إلى المطبخ وعدت بالسكين والشرر يتطاير من عيني طالبًا منها بأن تعترف بخيانتها، ولا تحاول أن تزعم بأن كل هذه الأسماء في القصص التي تكتبها هي أسماء وهمية، وأن القصص فن يعتمد على الخيال.!

*****

مجنون الفقيه

منذ مشاهدته لمسلسل "ليالي الجحملية" تملكته شخصية الفقيه نعمان، يقلده في كل شيء حتى صار يلوي لسانه ويتحدث مثل الفقيه، يفتعل مواقف وحركات الفقيه ويعامل زوجته كما يعامل الفقيه زوجته في المسلسل.!

بدأت القصة بالتقليد ثم تطور الأمر حتى أقنع نفسه أنه الفقيه نعمان فعلا وأنه عقيم ويرغب في انجاب طفل من زوجته العاقر رغم أن لديه خمسة أولاد.!

الجو في هذا الصباح غائم ومناسب لمن يريد النزهة.

لبس ملابس الفقيه وغرس في عمامته شتلة من الريحان وتوجه نحو حارة الجحملية، تمشى لساعة ثم توجه نحو جبل صبر وحين رآها بدت له "غدير" التي يكرهها بشدة لرفضها عروض الفقيه للزواج بها في المسلسل.

اقترب منها ليتخذ الموقف المصيري فصاح في وجهها:

- غدير المرة عاقر

صعقتها المفاجأة فتوقفت تنظر إليه وكلها ذهول واستغراب.

فأضاف:

- وأنا نفسي بجاهل

تأكدت أنه مجنون فعلا فمضت في طريقها غير أنه تبعها وغمزها بعينه:

- نتزوج يا غدير

أسرعت في مشيتها هاربة منه فتبعها:

- خيرة الله عليك يا غدير

- اقصري الشر يا غدير

- راجعي نفسك يا غدير

وحينها أدركت أنها قد وقعت بين يدي شخص مجنون فعلا فصاحت واستغاثت بالناس فهجم عليه أربعة من الشبان، وقبل أن يوضح لهم أن قصده شريف أشبعوه ركلا وضربا بينما فرت الفتاة وهي ترتجف غير مصدقة أنها نجت منه.

وجد نفسه بعد دقائق مكوما على قارعة الطريق يتألم من كل جسده، غدير اختفت عن نظره وعمامته رموها إلى أسفل الجبل وحذروه لو عاد ثانية.

تحامل على نفسه ونزل يبحث عن عمامة الفقيه وهو يكيل اللعنات للشبان الذين ضربوه متوعدا إياهم بالويل والثبور.

بعد ساعة من البحث لم يجد العمامة وحينها شعر أنه لم يعد الفقيه نعمان فذهب إلى قسم الشرطة في حارته وقدم بلاغا ضد أربعة من الشبان في صبر

وطالب بضبطهم وعاد إلى منزله وهو يجرجر نفسه وبالكاد وصل.

ضاقت زوجته بما يحدث، حاولت بشتى السبل اقناعه أن يعود لعمله ويتخلى عن شخصية الفقيه التي ركبته مثل مس من الجنون فلم يتراجع، وفاجأها بسؤال:

– من أين جاء هؤلاء الأطفال بينما أنتِ عاقر؟

وأضاف:

– أليست زوجة الفقيه عاقرا ؟!

وصرخ في وجهها:

– هؤلاء ليسوا عيالي سوف أطردهم من بيتي.

أجهشت باكية وتجمع حولها الأطفال يبكون، لقد أدركت أن زوجها جن فعلا فحملت أطفالها وغادرت المنزل.

حاول أقاربه أن يثنوه عما يفعله لكنه ركب رأسه وواصل الحياة بشخصية الفقيه نعمان، كتب على باب منزله " منزل الفقيه نعمان " ثم جاء بشلة من الشباب

يذبح لهم الذبائح ويوزع لهم حزم القات ويقيمون في كل ليلة مولد ذكر وتهاليل حتى قبيل الفجر.

صار يقتحم المجالس ويحدثهم أنه الفقيه نعمان فيسخر البعض منه ويضحك آخرون بينما يتجاهله البقية، كلما سمع بمشكلة تدخل فيها وفرض الحل بين المتخاصمين، ورط نفسه في مشاكل لا حصر لها، دخل السجن مرارا وفي كل مرة يفرج عنه بتعهد حتى أهتدى عاقل الحارة إلى حيلة ستريحه منه.

في الصباح وعلى غير العادة طرق عاقل الحارة منزله مناديا عليه:

- يا فقيه نعمان.. يا فقيه نعمان.

لم يصدق ما سمعته أذنه فقام مذعورا يفرك عينيه ويفتح له الباب مرحبا به، دخل العاقل وصاح به:

- لماذا ترضى بالظلم يا فقيه نعمان؟!

فاجأه السؤال وألجمته الحيرة فأضاف العاقل:

- سمعت ان قناة "يمن شباب" أعطوك ثلاثة مليون لتقوم بدور الفقيه نعمان في المسلسل وهذا قليل جدا عليك وظلم كبير بحقك.

واصل دهشته فحرضه العاقل:

- عليك السفر إلى الأردن ورفع دعوى قضائية عليهم والمطالبة بحقك.

بعد ساعات كان قد وصل إلى قريته معلنا عن رغبته ببيع نصيبه من ميراث والده ليسافر إلى الأردن وحين سألوه:

- هل ستسافر للعلاج؟

أجابهم بأنه الفقيه نعمان ويريد رفع دعوى على قناة "يمن شباب" لأنهم ظلموه في أجره في مسلسل "ليالي الجحملية" وحينها تأكد لهم انه قد جُنَّ فعلا فقاموا بتهدئته لينقلوه مكتفا بالحبال إلى مستشفى الأمراض العقلية بتعز.

بعد عدة جلسات علاج بالكهرباء نسي تماما شخصية الفقيه نعمان، لبس البنطلون والقميص

النص كم وجمع النزلاء في المستشفى معلنا أنه سيغني لهم فهو الفنان صلاح الأخفش.!

لو مررتم بقرب المستشفى وسمعتم صوت أغاني فأعلموا أنه من يغني، لا يتوقف عن الغناء بينما زوجته وأولاده ما يزالون مشردين عند أقاربهم.

وما يزال الناس في حارتنا يتحسرون على بيت هدَّمته الدراما.

*****

مرض غريب!

توقف الولد على باب متجر الألعاب وأمسك بإحدى الكرات المتدلية بينما يده الأخرى في يد أمه التي كانت تسحبه بقوة بينما يرفض التحرك متشبثا بالكرة، لكن أمه سحبته بقوة فأجهش باكيًا.

كنت أمشي خلفهم فتخيلت هذا الطفل المحروم ولدي واجتاحني شعور عارم بالشفقة عليه والحزن لحاله، لقد أدركت من ملابس أمه وما تحمله مدى فقرهم فقررت أن أشتري الكرة ثم ألحق به وأعطيه إياها لكنني خشيت أن ترفضها أمه فهؤلاء الفقراء لديهم عزة نفس وكرامتهم فوق كل شيء ولذا فقد لحقت بالولد وبسرعة وضعت في جيبه 3 ألف ريال ومضيت دون أن ينتبه.

ومضي يومي رائعا والسعادة تغمرني سرورا بما فعلت ولم يخطر ببالي ما حدث بعد ذلك.!

مر يوم ثم أيام ونسيت الأمر..

بعد أسبوع صعقت عندما وجدت صورتي تجتاح المواقع الإخبارية وفي الخبر:

- أكاديمي معروف يسرق طفلا في الشارع.!

لقد اتهموني بأنني سرقت الطفل وانتشر الخبر في مواقع الأخبار والتواصل الاجتماعي مرفقا بفيديو من ثواني معدودة ظهرت فيه وأنا ألحق بالطفل وأدس يدي في جيبه ثم ينتهي الفيديو فجأة.!

لابد أن هناك من صورني في تلك اللحظة وأجتزأ الفيديو لأظهر فيه وأنا أدس يدي في جيب الطفل وتحول الأمر إلى حملة إعلامية مغرضة ضدي، اتصلت ببعض الأصدقاء والزملاء ولكن لم يرد علي أحد.!

وصلت هاتفي العشرات من رسائل الشتائم وصرت منبوذا من الجميع ومشكوكا في أخلاقي،

أقف وحيدا أمام حملة إعلامية مغرضة، ارتفع ضغطي والله وحده أعلم كم وصلت نسبة السكري عندي وسألت نفسي:

- إلى هذه الدرجة يتربص بي البعض؟!

- وإلى هذا الحد يتخلى عن الزملاء والأصدقاء؟!

وبدأ بعض الشباب بالحارة يتجمعون تحت منزلي وبدأت أسمع شتائمهم وتطور الأمر إلى رشق للحجارة على شبابيك المنزل فقررت مواجهتهم وخرجت إلى البلكونة وصرخت فيهم:

- أي طفل سأسرقه يا ناس؟!

- ماذا يمتلك هذا الطفل في جيبه ألا تفكرون؟!

- هل ستصل بي الحقارة أنني سأسرق طفل في الشارع؟!

- هل رأيتم يدي في الفيديو خرجت بشيء من جيب الطفل؟!

وضحت لهم أنها مكيدة مدبرة ضدي وأنني كنت أعطيه ثمن الكرة التي لم يستطع شراءها من

محل الألعاب وطالبتهم بأن يسألوا الطفل وأمه قبل أن يصدقوا وسائل الإعلام، وفي فورة الغضب رميت بكل ما معي من نقود فوق رؤوسهم فصمتوا وارتبكوا وهرعوا يجمعون النقود المتطايرة ثم جاؤوا إلي واعتذروا مني وأعادوا لي النقود.

لقد أقنعت بعض الشباب بالحارة فكيف أقنع بقية الناس وقد شاهدني الالاف وتضررت سمعتي؟!

وتحركت لإعلام الرأي العام بالحقيقة.

جئت ببعض وسائل الإعلام وسألنا عن الطفل وأمه وبعد جهد جهيد وجدنا منزلهم وصورنا معهم وقامت أم الولد مشكورة بتوضيح الحقيقة للناس وبعد بث تلك المقابلات أتصل بي الكثير من الزملاء والأصدقاء وبدأوا يتضامنون معي.!

ومرت أيام وأسابيع وجاءني اتصال من المدرسة بأن ابنتي مرضت فجأة وعلي الإسراع لإسعافها، وأسرعت أقود سيارتي وأنا في حالة من الهلع لا

يعلمها إلا الله والحمد لله ما ان وصلت حتى كانت إدارة المدرسة قد قامت بالإسعافات الاولية للطفلة وتحسنت حالتها وقمت بأخذها إلى الطبيب لعلاجها.

بعد أيام فوجئت بحملة إعلامية جديدة ضدي تتهمني بخطف طفلة من باب إحدى المدارس، ونشروا فيديو يظهر ركوب الطفلة بجواري وانطلاقي بالسيارة من أمام المدرسة وقبل أن أرد كانت المدرسة قد أصدرت بيانا وضحت للرأي العام حقيقة ما حدث وتلقيت الكثير من اتصالات التضامن معي وزارني الزملاء ليعلنوا وقوفهم معي.

هناك من يترصدني ويحاول فبركة أي حركة لي وتصويرها كجريمة لكن من يكون هذا الذي يتربص بي وما الأسباب؟!

فكرت كثيرا ولم أصل لنتيجة.

بعد أسبوع وجدت في جولة الدائري عبده إدريس جارنا الذي يعمل شرطي مرور فتوقفت

وركنت سيارتي جانبا وذهبت لأسلم عليه، فرح بي وظل يشكو لي حاله بعد توقف الرواتب وطلب مني أن أسلفه مبلغ مالي فأعطيته المبلغ وبعد أيام فوجئت بحملة في وسائل الإعلام تصورني بأني فاسد ومخالف وقمت بتقديم رشوة لشرطي المرور حتى لا يسجل علي مخالفة سير.!

وقبل أن أوضح للرأي العام حقيقة ما حدث كان الشرطي جارنا قد سبقني ووضح الحقيقة للناس.

وبعدين؟!

يبدو أنني لن أرتاح من هذه الحملات التي تقودها جهة خفية ضدي؟!

الغريب أن الناس بدأت تتضامن معي بشكل أكبر مما توقعته وبدأت أشتهر حتى أن الناس الذي يمرون بجواري يحيوني وبعضهم يلتقط الصور معي، لقد فاجأني عامل في محطة البنزين حين رفض ثمن البنزين وألتقط صورة معي.!

وبدأ الزملاء وأهالي الحارة يتوافدون بشكل يومي للمقيل في منزلي وبدأت حياتي تتغير وبدأت الحملة المغرضة ضدي تأتي بنتائج عكسية.!

أعمل أي حركة فتقوم وسائل الإعلام بقلب الحقائق وقصقصة الفيديوهات ومهاجمتي فيتطوع الناس للدفاع عني والتضامن معي وبدأت بعض وسائل الإعلام تنحاز إلي وتدافع عني بشكل طوعي.!

ما الذي يحدث لي؟!

ويوما بعد آخر توسعت شهرتي وصار الديون يمتلئ في المقيل وجاء الكثير من الناس إلي بهدايا وبعضهم صاروا يدعوني لحضور أفراح ومناسبات والتوسط في حل قضايا كبيرة وقرأت كتابات عديدة تشيد بي وتصفني بالمناضل والمفكر والشخصية الوطنية ووو ألخ.

حدث لي كل هذا خلال فترة قصيرة.!

ومرت أسابيع، وفجأة توقفت الحملات الإعلامية ضدي، وبدأ الناس يتناقصون في المقيل حتى أقتصر على بعض الزملاء ثم توقفوا هم أيضا عن زيارتي ولم يعد يأت إلي أحد.!

لقد تعودت على حضور الناس وتصدر المواقف ولذا حاولت الاتصال بالزملاء وأهالي الحارة ودعوتهم للمقيل في منزلي ولكن لم يستجب لي أحد.! عجيب.!

وتناقصت شهرتي مع مرور الوقت حتى صرت أمشي في الشارع ولا يأبه بي أحد.!

وحز في نفسي هذا التجاهل الغريب لي بعد الشهرة الكبيرة واجتاحني حنين جارف إلى زمن كنت فيه حديث الرأي العام وسألت نفسي:

– ما الذي يحدث معي؟! يهاجمونني فترة ثم يتوقفون، يأتي إلي الناس ثم ينصرفون، لماذا هاجموني؟ لا أعرف، لماذا تجاهلوني فجأة؟ لا أعلم؟!

هناك شيء غامض لا أفهمه.!

حاولت افتعال بعض المواقف والحركات لعلهم يهاجموني فيدافع عني الناس واعود إلى الأضواء ولكن لا جديد.!

حاولت وضع نفسي في مواضع الشبهات لعلهم ينتقدوني ولكن لم يلتفت إلي أحد !

ارتكبت مخالفات بالفعل، قطعت اشارة مرور، وقدمت رشوة إلى موظف عام، وقمت بالاعتداء على بعض العمال في الشارع، ووقفت بشكل مريب أمام مدرسة بنات، لعل وعسى يهاجمني أحد ولكن الكل تجاهلني، كأنني غير موجود؟!

وكأنني ألبس طاقية الإخفاء.!!

ومرت أسابيع وأنا في حالة لا يعلمها إلا الله ثم نفذ صبري واجتاحتني حالة من الهستيريا فحلمت بندقي وخرجت إلى الشارع وبدأت بإطلاق النار في الهواء وحين جاءت دورية الشرطة أطلقت النار باتجاهها ولحسن حظي لم يصب أحد، اقتربت سيارة الشرطة مني ثم تجاوزتني فغلي الدم في عروقي

فأطلقت النار على إطارات السيارة حتى أوقفتها، وحين توقفت كان رصاص سلاحي قد نفذ فتقدم نحوي أربعة من جنود الشرطة وأخذوا مني سلاحي وانهالوا علي صفعا وركلا، لقد ضربوني حتى غبت عن الوعي، لقد حدث كل هذا والناس يتفرجون علي ولا يحركون ساكنا وكأنني لم أكن يوما أشهر من نار على علم.!

بعد أن ضربوني قيدوني وزجوا بي في زنزانة انفرادية لأيام ليتوسط لي بعض الزملاء الذين أقسموا للشرطة بأنني مريض نفسيا فأفرجت الشرطة عني ولكن بعد أن ضربوني مجددا وبشكل أعنف.!

الآن بعد أسابيع بدأت جروحي تلتئم وبدأت أتعافى والمفاجأة أنني تعافيت أيضا من هوسي السابق بالشهرة.!

*****

تفتيش

حين غادرت صنعاء في مطلع مارس 2018 م كان الوقت عصرا وفي السماء غيوم تلبدت كنت حزينا وفي حلقي غصة تتكور على فراقي لصنعاء بعد عشرين عاما من الإقامة فيها، لم أشعر يوما بغربة فيها، أنطلق الباص نحو سيئون وهطل المطر وفي قلبي هطلت أحزان لا أستطيع وصفها رغم أنني كنت أعزي نفسي بأنني مسافر للعلاج في مصر وسأعود عما قريب.

بعد توقف المطر كانت صنعاء خلفنا وكان الباص السياحي ينهب الاسفلت بسرعة جنونية ويتجاوز الكثير من السيارات كأنه في سباق، بدأت

بعض الستائر تنزاح وبدأ الركاب يتفرجون على الوديان والجبال والتلال.

داهمني احساس بأنني وحيد وغريب وحاولت القراءة في كتاب فلم أستطع، بقيت أمسح زجاج النافذة المبللة بقطرات المطر وأنظر بحزن إلى الأماكن والوديان والجبال وكأنني أودعها ولا أعلم متى سأعود إليها.

كان همي الأكبر أن اتجاوز نقطة "أبو هاشم" سيئة الصيت في رداع بمحافظة البيضاء فإن غادرتها فقد نجوت.

هكذا أكد لي الجميع ولذا فقد اجتاحني الخوف وظل القلق من عواقب تلك النقطة المرعبة يلازمني حتى وصلنا للنقطة وتوقف الباص عندها، كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة ليلا والسماء تمطر والظلام يلف المكان وصعد إلى الباص شاب من الحوثيين يدعى "أبو مران" وبدأ بالتحقيق الدقيق مع الركاب ومن شك فيه أمره بالنزول.

وصل إلي كنت قد جهزت أوراقي أمامي نظر إلى الجواز والتذكرة والتقرير الطبي ثم قال:

– هذا التقرير الطبي مزور أريد تقرير من مستشفى الثورة.

قلت له:

– التقرير صحيح وهو من مستشفى الكويت وهو مستشفى حكومي والتقرير مختوم من وزارتي الخارجية والصحة.

وقبل أن يأمرني بالنزول جاءته مكالمة فانشغل بها وسلم لي أوراقي فأدخلتها جيبي، تركني ثم تجاوزني للتحقيق مع غيري لينتهي الأمر بأن أنزل 17 شخصا من ركاب الباص من أصل 30 ومن بينهم نساء وأطفال.

كنت أخشى في طريق عودته أن يأمرني بالنزول، تسمرت على الكرسي وبقيت أستغفر وأدعوا الله أن أنجو، وحمدت الله حين مر من جواري ونزل وهو ما يزال يتحدث في الهاتف.

تم انزالهم وإنزال أدواتهم ورميها في قارعة الطريق.!

بعدها صاح أبو مران بسائق الباص:

- حن، تحرك.

تحرك الباص وانطلق ولم أصدق أنني نجوت، ولكنني أجلت فرحتي حتى اتجاوز كل نقاط الحوثيين والشرعية.

أكثر ما ألمني حينها هو انزال نساء وأطفال لا رفيق معهم في منطقة شبه مقطوعة وتحت المطر وقبيل منتصف الليل.

كان صراخ الأطفال يقطع القلب وكنا في موقف حزين لا أنساه ما حييت.

كان السكري قد ارتفع عندي إلى نسبة كبيرة وداهمني صداع مخيف وكنت في حالة يرثى لها وقلبي يقطعني على الذين ألقي بهم تحت المطر في قارعة الطريق في ذلك الليل والظلام المخيف.

وبقيت في قلق لازمني على مدى ساعتين، كنت أستغفر وأدعوا الله أن نتجاوز كل نقاط التفتيش التابعة للحوثيين والشرعية.

في آخر نقطة للحوثيين في البيضاء تم إيقاف الباص وصعد مسلح وسلم علينا فرددنا عليه السلام وأقترب مني وسألني:

- من أين أنت؟

قلت:

- من إب

سألني:

- إلى أين ستذهب؟

فأكدت له أنني متجه إلى مصر للعلاج فطلب مني بطاقتي فأعطيته إياها وتأكد منها ثم أعادها إلي وسألنا:

- هل تحتاجون شيء؟

قلنا: لا ولا شيء.

فنزل من الباص قائلا:

– توكلوا على الله، الله معكم.

ومضينا..

كان القلق ما يزال يسيطر علي فأمامنا نقاط لجنود الشرعية يقومون فيها بتفتيش الركاب بشكل دقيق ومن يشتبه به الجنود ينزلونه فورا.

دخلنا منطقة قانية ورأيت أول نقطة للجيش الوطني وعليها العلم الجمهوري وحينها بدأت أشعر ببعض الأمان.

ولما تجاوزنا نقاط الشرعية في مارب وغادرناها باتجاه حضرموت شعرت أنني ولدت من جديد وانزاح عن كاهلي جبل ثقيل جثم عليه لسنوات.

لقد شعرت بالحرية والأمان وتبخر ذلك الصداع المخيف وبدأت اتحدث إلى الركاب وأضحك وأشعر بلذة الحياة.

*****

مخاض

بعد منتصف الليل بدأت زوجتي تتألم، كانت في أواخر شهرها التاسع ويمكن أن تلد في أي وقت، ولكني لم أكن أتخيل أن تلد الآن.

السماء تمطر بغزارة وأصوات الرعود تختلط مع دوي الانفجارات فطائرات التحالف تقصف معسكرات ومنازل في صنعاء.

الظلام حالك ولا صوت للجيران ومع هذا فقد فتحت الباب وطرقت باب الجيران بكل قوة فلم أسمع أحدً.!

طرقت أبواب كل شقق العمارة فلم يرد علي أحد.!

يبدو أنهم قد رحلوا ولم يبق أحد سوانا أو أنهم نائمون كالموتى.!

يا الله: ماذا سأفعل وهذه المسكينة تصرخ بكل صوتها وصراخها يمزق قلبي ولا أدري ماذا أفعل لها؟!

حاولت الاتصال بوالدتها ولكن لم يكن في هاتفها رصيد وليس في هاتفي أيضا رصيد والمطر يهطل بغزارة والقصف لم يتوقف أيضا.!

*****

فتحت النافذة فتدفق المطر غزيرا، أغلقتها، كنت أريد أن أرى ضوء أو أسمع صوتً لشخص أو سيارة تقطع الشارع حتى أشعر بأننا نعيش وسط البشر الأحياء ولم ننتقل للغابة.!

أعطيت الزوجة المسكنات، ولكن دون فائدة فقد كانت تصرخ وتتشبث بي بقوة وكأنها ستموت وتكاد تلفظ أنفاسها، كنت مرتبكا ولا أدري ماذا أفعل؟!

الوقت يمضي ببطء قاتل وأنا أتساءل: هل ستقوى على الصبر والتحمل حتى طلوع الفجر ؟!

في داخلي رعب وفزع لا يعلمه إلا الله، أدعو الله سرا وعلانية أن تمضي الليلة على خير وأن لا يحدث لها أي مكروه، كنت منهارا ولكني أحاول الظهور بقوة أمامها حتى لا تنهار وتلفظ أنفاسها، أنظر إلى الساعة فأجدها الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، وأتساءل:

- لماذا يمضي الوقت ببطء قاتل هذه الليلة؟!

المطر يزداد غزارة وأضواء البرق تلمع خلف ستائر النوافذ ودوي الرعود تصم الآذان وتطغى على صراخ الزوجة.

بدأ الماء يتسلل من النوافذ ويبلل الفراش وبدأت حبات البرد تتساقط بقوة على زجاج النوافذ، كانت الزوجة تصرخ لكني لم أعد أسمع شيئا.

ومضت ساعات عصيبة وتوقف المطر لكن البروق والرعود لم تتوقف، أصوات الرعد تزرع

الخوف في قلبي ودوي القصف تهتز له أبواب ونوافذ المنزل وصراخ الزوجة يذبحني من الوريد إلى الوريد.

كنت أرتعش من شدة الخوف والجوع والبرد، الزوجة ارتمت في وسط الغرفة تصرخ وتتوجع وتمزق ثيابها والعرق يغشاها وفي وجهها الأصفر خوف قاتل، كانت تخشى أن تموت وهي تلد بعيدا عن أمها وأقاربها وكنت مثل الطفل المفجوع لا أدري ماذا أفعل؟!

وفوجئت بها تصرخ فيَّ:

- أسرع وسخن الماء.

وتعجبت ماذا تريد بالماء الساخن الآن؟

هل تريد أن تغتسل الآن في هذا البرد؟!

في المطبخ سخنتُ الماء في القدر ووجدت السفرة مغطاة وفيها العشاء فحملتها إلى الصالة وبدأت بالأكل فصرخت في:

- أنا أموت وأنت تأكل؟!

أعدت السفرة للمطبخ وذهبت إليها، كانت ترتجف كعصفورة بللها المطر وفي وجهها أرى الخوف والعرق يتصبب منها جلست بجوارها فهدأت قليلا وسألتني فجأة:

- لو مت هل ستتزوج؟

كدت أضحك لكنني تمالكت نفسي وأقسمت الأيمان المغلظة لها أنها لن تموت وأنني لن أتزوج وستلد طفلة جميلة تشبهها وحينها ابتسمت قليلا ثم طلبت الماء ولما شربت راحت في غيبوبة فأسرعت أرش عليها الماء وأناديها بقوة ففاقت وعادت إلى صراخها.

تواصل هطول المطر الغزير، البرد يتساقط بكثافة على النوافذ والرعود والغارات تواصل دويها ونظرت للساعة فوجدتها تقترب من الرابعة فجرا ففرحت وبشرتها:

- اصبري لم يبق للفجر إلا ساعة واحدة وسوف ننقلك لأقرب المستشفى ولو على ظهري

ابتسمت وصرخت:

- يا الله ارحمني برحمتك

وحينها رن هاتفها..

وكانت عمتي، قالت:

- قمت من النوم قلقة على ابنتي.. كيف هي الآن؟!

أخبرتها أنها تتوجع منذ ساعات وربما تلد في أي لحظة فأخبرتني أنها ستأتي الآن رغم الظلام والمطر.

وبعد نصف ساعة توقف المطر وتوقفت الغارات وكانت عمتي وعمي وكافة الأسرة يطرقون الباب، فتحت الباب فوجدتهم أقبلوا مبللون تماما وفي وجههم يختلط الخوف بالفرح، وفور دخولهم سمعت أذان الفجر ثم صراخ المولودة..

ثم انبثق فجر جديد.

*****

كابوس

صحوت من نومي مذعورا بعد أن تلقيت على وجهي وخزة عنيفة بإبرة حادة لاكتشف أن ضرسي هو من أطلق تلك الوخزة المؤلمة، نظرت في الساعة فوجدتها الثانية بعد منتصف الليل، ثم نظرت في المرآة فوجدت وجهي متورم والعرق يتصبب منه.

قبل فترة وجيزة ذهبت لطبيب الأسنان فقام بسحب العصب من الضرس وتنظيفه وحشوه حشوة مؤقتة وحدد لي موعدا لأعود إليه، ولكني شغلت وتساهلت بالأمر ولأنني مصاب بالسكري فقد تآكلت الحشوة المؤقتة بشكل سريع وانكشف العصب، لتبدأ طقوس العذاب المرعبة.

الآن بعد منتصف الليل والصيدليات والعيادات مغلقة والبرد شديد فأين أذهب لأضع حدا لهذا الألم المرعب؟!

لجأت للمهدئات فلم تنفع، تمضمضت بماء دافئ وملح فلم يهدأ الألم، قمت بوضع زر " قرنفل " مكان الوجع فلم ينفع الأمر، حاولت بشتى السبل والوسائل ولكن الألم أزداد ضراوة فصرت أتلوى وأصرخ بصوت أيقظ كل من في المنزل.

كأن دماغي يغلي من شدة الألم، نسيت حينها كل خططي وكل ما فكرت بقراءته أو كتابته وصار كل همي كيف أتخلص من هذه الالآم المرعبة والأوجاع الفظيعة التي لم أعشها من قبل.

أنظر إلى الساعة فأجدها تمضي بخطى بطيئة ثقيلة وكأنها تعاندني وتتعمد المشي بتثاقل غريب.!

كم مرت علي من السنوات والدهور وأنا أتلوى من شدة الألم؟

لست أذكر لكن الصباح أشرق أخيرا فهرعت إلى طبيب الأسنان فوجدت العيادة مغلقة فانتظرت بالباب ردحا من الزمن قدرته من شدة الألم ببضع سنوات حتى جاء الطبيب يتثاءب ويمشي بتثاقل هو الآخر، فتح العيادة فأسرعت اتمدد على كرسي العلاج، وحين فحص الطبيب الضرس ظننت أنني قد تخلصت أخيرا من أوجاعي ولكنه أخبرني أنه لا بد أن أتناول مضاد حيوي ومطهر للبكتيريا لأن العصب قد انكشف وصار موطن للبكتيريا وكتب لي مهدئات، رجوته أن يوقف آلامي بأي طريقة ولو يحشو الضرس أو يسحب العصب من جديد وسأدفع كل ما يطلب ولكنه حذرني من خطورة عمل كهذا على القلب والكلى وأكد لي ضرورة أن أستخدم العلاج لمدة خمسة أيام على الأقل ونصحني بالصبر.

يا الله.. لقد مرت علي سنوات عجاف من الثلث الأخير من الليلة الماضية إلى الصباح فكم

سيمر علي في الخمسة الأيام القادمة بنهارهن ولياليهن من سنوات من العذاب الأليم؟!

أخذت الزوجة والأطفال إلى منزل عمي ثم عدت إلى المنزل لأبقى فيه وحيدا أيام العذاب، لقد خشيت أن تتعرض الزوجة أو الأطفال لمكروه أثناء تلك الآلام المخيفة، قد أفقد أعصابي وأهجم عليهم خاصة وأنني قد حطمت بعض أثاث البيت من شدة الألم.!

يهدأ الألم قليلا فأغفو ويشتد فأصحو لأجد الكابوس أمامي، أنظر لوجهي في المرآة فأجد شخص آخر أشعث أغبر ممصوص الوجه كأنه قد عاد لتوه من المقبرة.!

مشيت على خط النار المشتعلة وقذفت بنفسي في فوهة بركان الألم وخضت الصراع المرير مع الوحوش الضارية، حاربت الالآم نيابة عن العالم في أطول خمسة أيام في تاريخ البشر.

بعد دهورٍ ثقيلة من العذاب والصراع المتواصل رغم استخدامي للمهدئات والعلاج انتهت الأيام الخمسة وذهبت لطبيب الأسنان فوجدت العيادة مزدحمة بشكل لم أتصوره فأعتذر لي الطبيب وطلب مني العودة في اليوم التالي وطالبني بالصبر، كدت أفقد أعصابي وأهاجمه، ولكني تماسكت وتجلدت، أخبرته عن آلامي فرد علي بأنها عشية وضحاها وتنتهي الآلام ولم يدر حينها أنه قد وضعني تحت التعذيب لمدة قرن.

وخضت من جديد الصراع المرير مع الآلام ومع عقارب الساعة التي تزداد عنادا لي فتخرج لي لسانها ساخرة وتصر على أن تمضي ببطء قاتل، خضت ذلك الصراع مجددا حتى انتصرت ومضت تلك الليلة السوداء وذهبت للطبيب أخيرا، كنت قد قررت الاشتباك معه لو رفض علاجي فلن أحتمل حتى ساعة واحدة من العذاب ولكن كأن الطبيب قرأ نواياي فأسرع ينظف لي قنوات العصب ثم قام

بسحب العصب وحشو الضرس من جديد، تألمت لمدة ساعة آلامًا رهيبة يصعب وصفها، بعدها عدت مسرعا إلى منزلي وارتميت في فراشي لأذهب في نوم عميق، نوم بلا كوابيس لأصحو بعد ساعات على دنيا جديدة بلا آلام.

ذهبت إلى منزل عمي ودعوت الزوجة والأطفال إلى العشاء في مطعم فاخر، ثم اشتريت لهم الهدايا وعدنا إلى المنزل بعد أن أنزاح الكابوس الطويل.

*****

مكان للتذكر!

ضيعت مفتاح الخزنة.!

لم يكن في خزنتي المنزلية الكثير من المال رغم كبرها لكنه كان يكفينا بالكاد لشهر.

المشكلة ليست في النقود التي في الخزنة فالنقود يمكن أن ندبرها، ولكن المشكلة في الأوراق الهامة التي وضعها بعض الأقارب والأصدقاء أمانات عندي وهي كثيرة ولو طالبوني بها ستكون مشكلة كبيرة لي لأن المفتاح الضائع هو الوحيد والخزنة يصعب فتحها أو كسرها لسماكتها وكبرها، أتذكر أنني حين اشتريتها اضطررت لجمع سبعة من الشباب مفتولي العضلات لنقلها للدور الثالث حيث أسكن.

كان المفتاح بحوزة الزوجة، ولكني في فورة حماسة قررت استعادة حقي المسلوب في إدارة الأمور المالية في المنزل والتحرر من تسلط الزوجة وهيمنتها على وزارة المالية، ورغم إفلاس وزارة المالية في منزلنا إلا أنني قررت اتخاذ خطوة رمزية نحو الاستقلال واستعادة السيطرة على الأمور.

بدت زوجتي مستغربة من طلبي لمفتاح الخزنة وقولي لها أنه سيظل بحوزتي كقرار نهائي لا رجعة فيه مهما حدث فالرجولة مواقف وقرارات وقد اتخذت القرار.!

سلمتني الزوجة مفتاح الخزنة محذرة من ضياعي له فقلت وأنا أفتل شاربي: "عيب هذا الكلام".!

بعد مرور أيام أضعت المفتاح ووقعت في المحذور وفي البداية لم أخبرها حتى لا تشمت بي وتضحك على خيبتي ولذا كثفت البحث عنه بصمت وفي كل مكان، قلبت كل زاوية وركن في المنزل، ولكن دون جدوى وبقيت استدين من البقالة حتى

أعتذر لي البقال بلطف، وفي النهاية قررت إبلاغها بالأمر وليكن ما يكون ولعلها ربما قد وجدته ولم تخبرني لتؤكد لي أنني مهمل ولست على قدر المسؤولية.

عندما أخبرت الزوجة بضياع المفتاح الخزنة أنكرت علمها به ولما وجدتني غير مصدق لها أقسمت الأيمان المغلظة أنها لم تره منذ سلمته لي.

واصلت البحث عن المفتاح في كل ركن وزاوية في البيت، ولكن دون جدوى، كأنه تبخر.!

يا الله أين وضعته؟

ألم يكن في جيبي فأين سيذهب؟!

استسلمت للأمر وقررت أن طلب الراتب مقدما، أخبرت أمين الصندوق بما حدث لي فضحك كثيرا ونصحني أن أعيد المفتاح للزوجة وحدثني عن نجاح النساء في إدارة الأمور المالية وحسن تدبيرهن عكسنا نحن الرجال وأن زوجته هي من تشتري مصاريف البيت وكسوة الأولاد وكافة الاحتياجات

وأن السلعة التي يشتريها بألف ريال تشتريها هي بخمسمائة ريال ولما مللت من حكاياته سألته:

- هل ستصرف لي الراتب أو لا؟

تكرم أمين الصندوق وصرف لي الراتب في منتصف الشهر كأمر استثنائي لكنه نصحني بأن أدرك فشل ثورتي على النظام القديم وأعيد الأمور المالية للزوجة.

وعدت للمنزل وفي طريقي أكلت ثلاثة من كيزان الذرة المسلوقة فأصابني مغص شديد وأسرعت إلى الحمام وفي ذروة الإسهال الشديد تذكرت أين وضعت المفتاح فصبرت حتى انتهيت من الحمام وهرعت إلى الجاكيت الذي خلعته منذ أيام بعد أن اتسخ واستبدلته بأخر وبالفعل وجدت مفتاح الخزنة في جيب الجاكيت وتعجبت كيف بحثت في كل مكان في البيت ونسيت الجاكيت الذي كنت ألبسه؟!

اليوم كلما نسيت شيئا أخرج باحثا عن بائع الذرة المسلوقة لأكل ثلاثة من كيزان الذرة وأعود سريعا إلى الحمام لأتذكر ما نسيته.!

*****

الثائر الأكبر!

عندما دعاني للغداء في منزله يوم الأربعاء القادم وافقته على الفور فمنذ زيارتي لدولته كنت أتشوق لزيارة هذا الأكاديمي المعروف واللقاء به وجها لوجه بعد سنوات من التواصل عبر الفيسبوك، أعطيته عنوان الفندق ورقم هاتفي الجديد وانتظرت اللقاء يوم الأربعاء.

مرت الأيام بطيئة وأنا بانتظار لقائه وفي يوم الأربعاء لبست أفضل ثيابي وبقيت انتظر اتصاله وجاء سائقه إلى الفندق وذهبنا إلى منزل الدكتور، رحب بي كثيرا وبقينا نتحدث وبعد الغداء طلب مني الخروج معه إلى مكان هادئ لأنه يريد رأيي في أمر

هام جدا، أخذ المفتاح من سائقه فهو سيقود السيارة بنفسه لنكون على راحتنا في الحديث.

وافقته، فأضاف:

- هذا الأمر إن نجح سيكون له أكبر الأثر في حاضر الأمة ومستقبلها.

قلت في نفسي: الموضوع أكبر مما أتصور ويبدو أن الدكتور سيعرض عليّ مشروعًا كبيرًا مثلا: قناة فضائية عالمية أو مؤسسة دولية أو جامعة عالمية وعموما أيا كان المشروع فسوف أشير عليه بما أعرفه وبكل صدق وإخلاص.

مررنا بكافتيريا وشربنا العصائر، وبقينا نتجول ونتحدث حتى العصر وبعد صلاة العصر وجدته يقود السيارة خارج العاصمة باتجاه البر، بدأ القلق يساورني وسألته:

- إلى أين نذهب؟

- إلى البر لنكون على راحتنا في الحديث فللجدران آذان.

وحاصرتني التساؤلات: هل يخطط الدكتور لثورة في الدولة أو للانقلاب على نظام الحكم طالما أن الموضوع "توب سيكرت " وبهذه السرية والأهمية؟!

يبدو أنه قد وضع خطة سرية للثورة ويريدني أن طلع عليها.

طوال الطريق اجتاحني القلق والهواجس المخيفة، وظللت أدعو الله في سري أن يعطيني خير هذا الأمر ويكفيني شره.

وصلنا إلى منطقة برية خالية تماما من الناس فأوقف السيارة وأغلق هاتفه ونزل فتبعته فطلب مني إغلاق هاتفي ووضعه في السيارة ففعلت وبدأت أقلق أكثر.

الجو حار والتوتر يسود الموقف، أنتظر المفاجأة بكل قلق، نظر يمينا وشمالا ولما تأكد من خلو المكان ذهب إلى السيارة وعاد بمصحف ثم فتحه وأشار بأصبعه إلى آية قرآنية فلم أفهم ماذا يقصد، أعاد

المصحف إلى السيارة وعاد والعرق يتصبب منه، مجددا تلفت يمنة ويسره، ثم همس لي:

- قال تعالى: (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون).

لم أفهم ماذا يقصد بالآية، فقلت:

- تقصد أن الحكام في الدولة فاسدين؟

صرخ في وجهي:

- أسكت يا طويل العمر راح تودينا في داهية!

قلت باستغراب:

- نحن في صحراء فلو نضع خطة للانقلاب على النظام في الدولة فلن يعرف أحد.

شحب وجهه وأصفر لونه وارتعد كعصفور تحت المطر ثم عاد إلى السيارة فلحقته حتى لا يتركني في الصحراء بلا مواصلات ولا هاتف.

أدار محرك السيارة وعدنا من حيث أتينا، كان غاضبا مني كأنني قد ارتكبت جريمة كبرى بحقه وقبل أن نصل إلى الطريق الرئيسي قلت له:

- دكتور صل على النبي، وأذكر الله وسامحني إذا أخطأت.

ثم أضفت:

- أسألك بالله تخبرني بماذا كنت ستستشيرني؟

أوقف السيارة ثم همس لي:

- كنت نويت أن أكتب مقال وأرسله للنشر في جريدة " الحقيقة " وفكرت أن أنتقد الفساد في الدولة، ولكني خشيت من العواقب الوخيمة إن نشروا المقال.

كدت أنفجر من الضحك، ولكني تماسكت وتصنعت الاهتمام، وقلت له:

- أنت أكتب بلغة راقية، لمّح ولا تصرّح، أبدأ بذكر الانجازات الكبيرة التي تحققت والمشاريع العملاقة والنهضة التنموية الشاملة ثم قل مثلا: "ونحن على يقين أن عجلة النهوض الحضاري بالدولة والتي انطلقت بسرعة قصوى بفضل جهود سموه وسمو ولي عهده ستشمل كافة المجالات بما فيها مكافحة

الفساد حتى تتحقق الأهداف السامية للقيادة الحكيمة في هذا الوطن".

أشرقت في وجهه فرحة كبرى، ثم ناولني ورقة وقلمًا، وطلب مني أن أكتبها له ليضمنها في المقال، انطلق بالسيارة نحو العاصمة، وهو في غاية السعادة والفرحة، وحين رأى دورية للشرطة في مدخل المدينة صاح في:

- أستاذ محمد اشطب عبارة "مكافحة الفساد" أشطبها بسرعة بسرعة.

أسرعت أزيل عبارة مكافحة الفساد كأنني أتخلص من سلاح خطير جدا، وحينها تنفس الصعداء ارتياحا كأن جبلاً من الهموم قد أنزاح عن كاهله.!

*****

صدر للمؤلف

1) عن محاولتي الفاشلة للوصول إلى القمر – مجموعة قصصية
2) نحن والحمير في المنعطف الخطير – مجموعة قصصية
3) من عجائب تنكة بلاد الخرافات – مجموعة قصصية
4) لصوص لكن مبدعون – مجموعة قصصية

5) القاضي العمراني رمز الوسطية في العصر الحديث – كتاب
6) الدولة الرسولية في اليمن – قصص من الثراء الحضاري والمعرفي – تحت الطبع
7) سقطرى فاتنة المحيط تواجه المخاطر – تحت الطبع
8) وجوه من اليمن – تحت الطبع

الفهرست

إشارة..... 5
عن القصص 11
الجارة الغامضة 21
فرحة القمر 31
انتقام..... 37
ليلة عصيبة! 41
انقلاب غريب!! 48
مجنون الفقيه 55
مرض غريب! 62
تفتيش 72
مخاض..... 78
كابوس 84
مكان للتذكر ! 90
الثائر الأكبر! 95
صدر للمؤلف..... 101